مكتبة فلسطين للكتب المصورة

إخترنا للطالب

موقف القومية العربية من الصهيونية

بقلم

الدكتور عبد الثاني غنيم

اخترنا للطالب

العـدد ٤٠

موقف القومية العربية من الصهيونية

بقـلم

الدكتور عبد الغنى غنيم

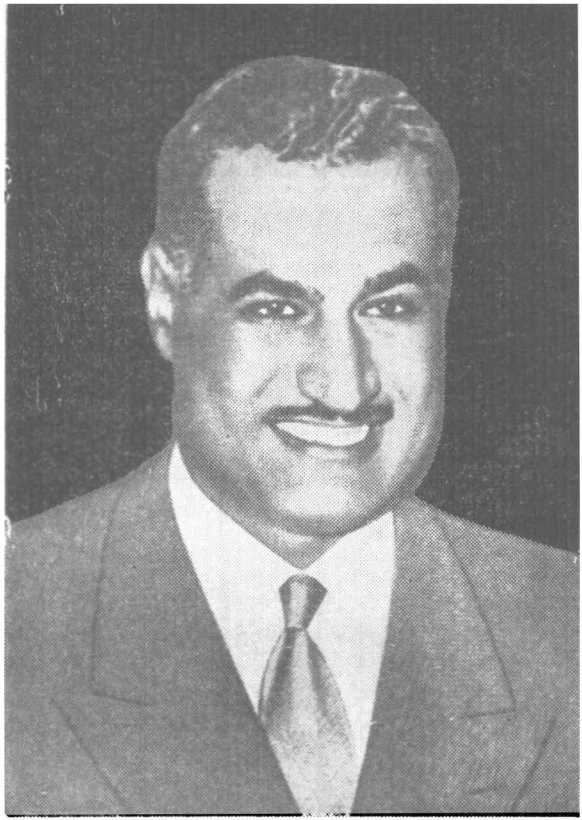

* زائد القوميـة العربية *

بسم الله الرحمن الرحيم

الصهيونية Zionism حركة سياسية تذرعت بأسباب دينية ، وعوامل قومية وعاطفية ، لتحقيق أهداف عدوانية ، لا تستند إلى أية أسس قانونية أو خلقية ، وقد اختار زعماء الحركة اليهودية لحركتهم ذلك الاسم لاعتبارات مقصودة ، أهمها ربط الفكرة السياسية للصهيونية بالرقعة المكانية ، لتكتسب مفهوماً قومياً ، ذلك لأن لفظة « صهيونية » مشتقة من كلمة « صهيون » أحد جبال القدس ، كما أنهم أرادوا أن يلبسوا عقيدتهم السياسية ببعض ما ورد فى الأسفار اليهودية التى طالما رددت قدسية «صهيون» ليدعموا الفكرة تدعيماً روحياً إلى جانب التدعيم القومى .

ولكى نتفهم موقف القومية العربية من هذه الحركة العدوانية الخطيرة يحسن أن نجمل المراحل التى مرت بها الحركة الصهيونية الحديثة إجمالا تقتضيه الظروف المرتبطة بالموضوع ، ذلك لأن هذه الحركة لم يقتصر تاريخها على مجرد الجهود التى بذلها زعماء

اليهود لتحقيق فلسفة هذه الفكرة ، وإنما تأثرت إلى حد كبير بالظروف السياسية التى أحاطت بالعالم العربى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وسياسة الدولة العثمانية ، واتجاهات الحكومة القيصرية الروسية ، ومنعطفات السياسة الأوروبية فى ألمانيا وفرنسا وانجلترا ، وموقف السياسة الأمريكية من ذلك كله .

المرحلة الأولى للحركة الصهيونيه

(من منتصف القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب العالمية الأولى)

بدأت هذه المرحلة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والبلاد العربية تمر بفترة حرجة من أخطر فترات حياتها ، حين وقعت بعضها فعلا تحت نير الاستعمار الأوروبى كما حدث بالنسبة للجزائر وتونس ومصر وعدن ، والبعض الآخر يترقب نفس المصير ، وفى نفس الوقت كانت الدولة العثمانية تتعرض لظروف سياسة ومالية أثرت فيها إلى حد كبير .

ووسط هذه الأعاصير السياسية المحيطة بهذه المنطقة ، بدأ

اليهود ينظمون صفوفهم على يد بعض زعمائهم من أمثال تيودور هوتزل T. Hertsel وادموند روتشيلد E. Rothschild ولم يكن تعدادهم فى ذلك الوقت يزيد على ٧٧٥٠٠٠ (٨٨ر٥٪ فى أوروبا ، ٨٪ فى البلاد الشرقية والباقى عبر البحار) وتركز النشاط الصهيونى فيما يعرف « بالتنظيم الصهيونى العالمى The world Zionist Organisation وينضوى تحت هذا التنظيم الصهيونى العالمى هيئتان ، الأولى المؤتمر الصهيونى العالمى The world Zionist Congress والمجلس التنفيذى للمؤتمر The Executive Council of the Congress والثانية الوكالة اليهودية The Jewish Agency والمجلس الإدارى لهذه الوكالة The Administration of the Agency ، وقد تم عقد أول اجتماع للمؤتمر الصهيونى العالمى فى مدينة بازل Basle بسويسرة Switzerland سنة ١٨٩٧ لتنظيم الحركة الصهيونية والعمل على إيقاظ الوعى اليهودى وتشجيع الهجرة إلى فلسطين وقد بدأ التنظيم الصهيونى فعلا بتكوين أربع مستعمرات صهيونية فى فلسطين هى مستعمرات Richon-Le-Zion Zikron Yacob (Roshpinah, Petah-Tikvah)) وطلب إلى اليهود فى جميع أنحاء العالم أن يحتفظوا إلى جانب ولائهم لقوانين

البلاد التى يعيشون فيها بولائهم لهذه المنظمات الصهيونية العالمية ، غير أن هذه المحاولات الصهيونية لم تخرج فى هذه المرحلة الأولى عن نطاق الإعداد والدعوة والتوجيه النظرى والسلمى دون أن تتمكن من تحقيق أية أهداف عملية ، مما جعلها هدفاً للنقد المرير من زعماء المرحلة الثانية ، وإن كان ذلك يرجع إلى عدة عوامل نجملها فيما يلى :

« أولا » أن الحركة الصهيونية كانت فى بداية طريقها ولم تكن قد رسخت قدمها بعد وعلى الرغم من الجهود التى بذلها هرتزل فى هذا السبيل والتى نشرها فى كتابه المعروف « الدولة اليهودية » فقد انتقده الزعيم الصهيونى « حايم ويزمان » فى كتابه « التجربة والخطأ Trial and Errors » بقوله « إن الصهيونية التى اعتنقها هرتزل سلكت مسلك الحركات الانسانية التى تهدف إلى أخذ المال من أغنياء اليهود والاستعانة به على توفير حياة كريمة للفقراء منهم بمحاولة إعادتهم إلى فلسطين لاستعمارها ، إما بالحصول على ترخيص من السلطان بالاتصال به مباشرة باعتباره صاحب السلطة العليا على فلسطين أو باقناع الدول الكبرى للضغط عليه للتسليم لهم بمطلبهم وقد انتهت كل هذه المساعى إلى الفشل .

« ثانياً » على الرغم من الضعف الذى انتاب الدولة العثمانية : والضائقة المالية التى كانت تمر بها فقد رفض السلطان عبد الحميد العروض التى تقدم بها البنك الوطنى اليهودى له . نظير السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين . بل أنه أصدر فرمانا حرم فيه هذه الهجرة ورفض جميع ألوان الضغط التى بذلها اليهود عن طريق بعض الدول الأوروبية للتراجع عن هذا القرار الذى ظل معمولا به حتى قيام الحرب العالمية الأولى .

« ثالثاً قيام التنافس والصراع بين كل من فرنسا والروسيا وانجلترا حول وفلسطين لقد بدأ هذا التنافس بين وفرنسا والروسيا حول نفوذ كل من الدولتين على الرعايا المسيحيين فى أملاك الدولة العثمانية واضطرت تركيا إلى توقيع معاهدة « كجوق كينارجى » مع الروسيا فى سنة ١٧٧٤ لتحقيق اطماعها فى هذا السبيل ، كما تنازلت لفرنسا عن مفاتيح الأماكن المقدسة فى منتصف القرن التاسع عشر مما كان سببا فى قيام الحرب المعروفة بحرب القوم ، ثم دخلت انجلترا ميدان ذلك التنافس بعد احتلالها مصر وأصبح نفوذها فى هذه المنطقة ضروريا لصالح الاستراتيجية البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط ، ولم يكن ذلك كله لصالح الفلسفة الصهيونية، التى بدأت تركز اهتمامها بربط مصالحها بمصالح بريطانيا

فى فلسطين وتسعى جاهدة لإخراج هذه المنطقة من حيز الصراع الدولى إلى تأييد السيادة البريطانية التى كان تحقيق الأطماع الصهيونية رهيناً بوجودها

« رابعاً » كانت سياسة القيصرية الروسية تقف سداً منيعاً دون أية محاولة من جانب حلفائها الغربيين لترضية الآمال الصهيونية والاطماع اليهودية فى فلسطين مستندة فى ذلك إلى أن تحويل فلسطين إلى دولة يهودية سوف يدنس الأراضى المقدسة ويبذر المشاكل والعوائق أمام الأعداد الغفيرة التى كانت تخرج من روسيا كل عام للحج إلى هذه الأماكن، وقد تعرض لهذه الناحية بشىء من الاسهاب الاستاذ « أرنولد توينبى » استاذ الدراسات الدولية بجامعة لندن ومدير المعهد الملكى البريطانى للأبحاث الدولية فى كتابه « دراسة فى التاريخ A Study of History

« المرحلة الثانية للحركة الصهيونية »

(من الحرب العالمية الأولى إلى إعلان وعد بلفور)

تعتبر هذه المرحلة على قصر مدتها من أخطر المراحل التى مرت

بها الحركة الصهيونية - ولم يهمل زعماء اليهود فرصة واحدة تمكنهم من الوصول إلى أهدافهم الا استغلوها، سواء أكان ذلك عن طريق الإفادة من تطورات الحرب العالمية ومتابعة التيارات السياسية، أو تكثيل الجهود، والإفادة من الأصدقاء والخصوم وقد تعرض لهذه الفترة من تاريخ الحركة الصهيونية ثلاث من أهم الذين تناولوا تسجيل أطوارها بالتفصيل، اثنان من كبار الزعماء اليهود، الأول الدكتور حايم وايزمان فى مؤلفه عن التجربه والخطأ، والثانى هربرت صمويل أول مندوب سام بريطانى يهودى فى فلسطين بعد الانتداب فى مؤلفه ذكريات «Memoir» أما الثالث فهو المؤرخ البريطانى الاستاذ أرنولد توينبي

وقد استغل زعماء الصهيونية المنظمات اليهودية فى كل من بريطانيا وأمريكا، وكان يتزعم الحركة الصهيونية فى بريطانيا حايم وايزمان وهربرت صمويل ودكتور هرتز رئيس الحاخامين اليهود واللورد روتشيلد المليونير اليهودى ومكماهون صاحب المراسلات الشهيرة مع الشريف حسين ومارك سايكس أحد أطراف الاتفاقية السرية المشهورة ورئيس قسم المخابرات فى وزارة

الحرب وسوكولوف وغيرهم ممن استطاعوا أن يؤثروا تأثيراً قوياً فى رجال السياسة الانجليز ، وليس من قبيل المصادفات أن نرى أن بعضهم تولى مناصب خطيرة أو قام باتفاقيات وأحاديث سرية وعلنية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشكلة الفلسطينية ، وكان يساعد هؤلاء كبار رجال السياسة الانجليز الذين كانوا يعطفون على الحركة الصهيونية عطفاً واضحاً وعلى رأس هؤلاء وزراء الخارجية البريطانية الذين تعاقبوا عليها فى الحرب العالمية الأولى «لوردجراى» و « بلفور » صاحب التصريح البريطانى المشئوم .

ومن الحقائق التاريخية المؤكدة أن الحركة الصهيونية لقيت تأييداً كبيراً من السياسة البريطانية فى ذلك الوقت لارتباط المصالح المشتركة بين الاتجاهين البريطانى والصهيونى ، وفى نفس الوقت لقيت الحركة الصهيونية معارضة من بعض زعماء اليهود الذين كانوا يرون فى الحركة الصهيونية اتجاها مدمرا للمصالح اليهودية الموجودة فى مختلف أنحاء العـــالم وكان على رأس هؤلاء « السيرادوين مونتاغ » وزير الهند فى وزارة « لويد جورج » والذى ظل يعارض إصدار تصريح بلفور فى الوزارة البريطانية بأقصى مايمكن من جهود ، غير أنه فشل أمام الاتفاق التام بين

زعماء الحركة الصهيونية فى بريطانيا وزعماء الحركة السياسية فيها وإن كان قد نجح فى تغيير بعض معانى وألفاظ التصريح الذى كانت تريد المنظمة الصهيونية فى بريطانيا إصداره .

أما فى أمريكا فكان يتزعم الحركة الصهيونية فيهـــا « مستر براندیز » من كبار الشخصيات الأمريكية وقتذاك ، ومعه عدد كبير من كبار رجال السياسة الأمريكية وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً فى تدعيم المركز الرئيسى للمنظمة الصهيونية فى بريطانيا كما استجابوا لرغبة هذه المنظمة فى الضغط على الرئيس ولسون حتى أعلن باسم أمريكا رفضه لسياسة المعاهدات السرية ، وبذلك استطاع زعماء الصهيونية فى بريطانيا أن يحبطوا « اتفاقية سيكس - بيكو » السرية التى عقدت بين بريطانيـا وفرنسا فى سنة ١٩١٦ والتى أيدت تدويل فلسطين وهو ما كان يعارضه اليهود أشد المعارضه لأنهم كانوا يريدون أن تنفرد بريطانيا بالسيطرة على فلسطين لتتمكن الصهيونية من تحقيق أهدافها بمؤازرة حليفتها الكبرى .

وليس من شك فى أن بريطانيا وإن تظاهرت أمام فرنسا بأنها لم يكن لهـا أى دخل فى هذا القرار الأمريكى ، وعزته إلى

ضغط الصهيونية الأمريكية على الرئيس ولسون ، إلا أنها كانت راضية تمام الرضا عن هذا التصريح الذى يتيح لها فرصة التنصل من بعض بنوده لتأييد الاطماع الصهيونية فى فلسطين ويؤكد هذه الحقيقة أمران أولهما تفاهم بريطانيا التام مع زعماء الصهيونية فى بريطانيا وإصدار تصريح بلفور فى نوفمبر سنة ١٩١٧ ، ذلك التصريح الذى يؤكد العطف البريطانى على إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين على الرغم من أن اتفاقية « سيكس - بيكو » لم تكن لتعطيها هذا الحق حيث اتفق على أن تكون فلسطين منطقة دولية ، والامر الثانى توكيد السيادة البريطانية على فلسطين فى اتفاقية سان ريمز التى عقدتها مع فرنسا فى سنة ١٩٢٠ معدلة بذلك قرار تدويلها فى الاتفاقية السابقة ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة للتفاهم التام بين بريطانيا وبين زعماء الصهيونية ، ذلك التفاهم الذى لم تكن لتتحقق نتائجه إلا بذلك التعديل .

ولقد ساعدت الظروف والتطورات السياسية والعسكرية فى الحرب العالمية الأولى على تحقيق الأهداف الصهيونية وفيما يلى بعض هذه العوامل التى مكنت للصهيونيين سبيل النجاح فى تحقيق أطماعهم .

« أولا » النجاح الذى أصاب السياسة البريطانية فى منطقة الشرق الأوسط بعد أن تم لها الاتفاق مع الشريف حسين نتيجة للرسائل التى تبودلت بين الأمير العربى والسير آرثر هنرى مكماهون المعتمد البريطانى فى مصر ، ولقد كان كل نجاح يصيب بريطانيا فى هذه المنطقة يعتبر نجاحاً للخطة الصهيونية فى فلسطين ، ولقد أثارت الرسائل المتبادلة بين الطرفين جد لا سياسياً كبيراً فى تفسيرها ، وخاصة الوثيقة الرابعة التى أدعت بريطانيا أنها تتضمن تحفظاً خاصاً بشأن فلسطين يخرجها عن نطاق منطقة الاستقلال العربى التى وعدت بها الشريف حسين ويدخلها فى منطقة التحفظ البريطانى ، وليس هنا مجال مناقشة فقه التفسير البريطانى لعبارات هذه الوثيقة والذى يعطينا صورة من صور الاسفاف السياسى للدبلوماسية البريطانية .

ولقد استطاعت بريطانيا نتيجة لهذه الاتصالات السياسية بين ممثليها وبين الشريف حسين شريف الحجاز أن تعيّ قوى الحقد والكراهية عند العرب ضد الأتراك مما كان له أكبر الاثر فى تقويض خطط دول التحالف الثلاثى فى هذه المنطقة وارباك خطط الأتراك والألمان ، وانتصار العسكرية والدبلوماسية البريطانية .

وفى الوقت الذى كان العرب فيه يقدمون كل امكانياتهم البشرية والمادية لنصرة الحلفاء كانت انجلترا وفرنسا تبيتان الغدر للعالم العربى باستئناف سياسة تقسيم النفوذ فى الوطن العربى تلك السياسة اللتان بدأتاها فى مستهل القرن العشرين .

« ثانياً » كان انهيار حكم آل رومانوف الامبراطورى فى روسيا نتيجة الهزائم التى منيت بها فى الحرب العالمية الأولى ثم سقوط الحكومة القيصرية فى مارس سنة ١٩١٧ تمهيداً لازاحة حماية غير مباشرة عن عرب فلسطين وقد سبق أن ذكرنا أن الاتجاهات السياسية الروسية فى عهد القياصرة كانت تحول دون تحقيق الآمال الصهيونية فى فلسطين، ومن أجل ذلك فإنه ما كادت روسيا تنسحب من الحرب العالمية الاولى حتى تمهد السبيل أمام كل من السياستين البريطانية والصهيونية لتحقيق أهدافها المشتركة الأولى بحرمان الروسيا من كل ما حصلت عليه فى اتفاقية سيكس-بيكو، والثانية بانهيار السد الروسى القيصرى الذى كان يحول دون تحقيق الاطماع الصهيونية فى فلسطين ،

« ثالثاً » هناك عامل سياسى هام أظهرته الحرب العالمية الأولى فى الميدان لصالح الاتجاهات العدوانية الصهيونية ، ذلك العامل

هو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، وعلى الرغم من أن تحرر اليهود النفسى فى متفاهم فى الغرب لم يكن قد تم بعد فإن تحررهم الاقتصادى والسياسى كان قد قطع شوطاً بعيداً فى تقدير أصوات اليهود ومنحها وزناً هاماً فى ميزان القوى الدولية فى وسط أوربا وغربيها على السواء، وفى الولايات المتحدة كان نفوذ يهود أمريكا عظيما فى أعين المحاربين فى أوروبا الذين بدأوا يتحققون من أن أمريكا سوف تكون لها الكلمة الأخيرة فى الحرب العالمية وإن هذه الكلمة الأمريكية الأخيرة قد تتأثر بصورة ما محوظة بآراء المواطنين من يهود أمريكا .

وهنا تبدو المقارنة واضحة بين الثمن الذى دفعه الحلفاء لكسب ود العرب الذى كان فيصلا هاماً فى ميزان القوى فى بداية الحرب العالمية الأولى فى منطقة الشرق الأوسط والثمن الذى دفعه الحلفاء لكسب ود اليهود فى المراحل الأخيرة لهذه الحرب .

« رابعاً » لم تكن القومية العربية وقتذاك سوى أصوات . خافته تصدر عن بعض الجمعيات العربية التى تأسس بعضها فى أوربا والبعض الآخر فى العالم العربى مثل « جمعية رابطة الوطن العربى » التى تأسست فى باريس سنة ١٩٠٤ . و « العربية الفتاة » التى تأسست فى باريس سنة ١٩١٢ «وحزب

اللامركزية الادارية العثمانية ، الذى تأسس فى نفس العام و« الجمعية الاصلاحية » التى تأسست فى بيروت سنة ١٩١٣ ثم « الجمعية القحطانية » و « جمعية العهـــد » وعلى الرغم من الاهداف السامية التى كانت تسعى اليها هذه الجمعيات العربية إلا أنها لم تكن أكثر من محاولات مشتتة ينقصها المال والتأييد السياسى والشعبى والوعى القومى .

« خامسا » كان رجحان كفة النصر فى الحرب العالمية الاولى إلى جانب الحلفاء لصالح السياستين البريطانية والحركة الصهيونية ، ذلك لان انجلترا كانت تخشى فى بداية الحرب اغضاب حليفتها فرنسا حتى لا يفت ذلك فى عضدها أمام الجحافل الالمانية التى كانت تهاجمها فى عنف وقسوة ومن أجل ذلك رضيت انجلترا فى اتفاقية « سيكس- بيكو » بتدويل فلسطين وأكثر من ذلك فانها تنازلت لفرنسا عن منطقة الموصل الغنيه بالبترول ولقد كان ذلك سببا فى الهجوم العنيف الذى شنته الصحافة البريطانية على اللورد جراى وزير الخارجية البريطانية وقتذاك .

ومن أجل ذلك ترددت انجلترا فى الاستجابة للعـــروض الصهيونية التى كانت تلح فى ضرورة جعل فلسطين منطقة انتداب بريطانية لارتباط المصالح المشتركة عند الطرفين .

ولما تبين النصر للحلفاء فى الحرب العالمية الأولى ، بدأت انجلترا تكشف القناع لحليفتها فرنسا ، واستطاعت عن طريق التلويح بمعارضة الأطماع الفرنسية فى الميدانين الاوروبى والسورى أن تنال موافقة فرنسا فى معاهدة « سان ريمو » على إعادة كل من فلسطين والموصل إلى السيادة البريطانية .

وهكذا تمهد السبيل أمام الخطة الصهيونية لجعل فلسطين منطقة انتداب بريطانى حتى تستطيع بريطانيا تحقيق وعدها المشئوم فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ Balfour Declaration ذلك التصريح الذى وضع أسسه زعماء الصهيونية فى بريطانيا ، ووافقت عليه الحكومة البريطانية بعد تعديل ، ثم قدمه مارك سايكس البريطانى اليهودى إلى الزعيم الصهيونى « حايم وايزمان » فور صدوره قائلا « إنه غلام يا دكتور وايزمان » . .

المرحلة الثالثة للحركة الصهيونية

من الانتداب البريطانى على فلسطين حتى قيام الحرب العالمية الثانية

على الرغم من أهمية الوعد البريطانى بالنسبة للصهيونية ، إلا أن هذا الوعد لم يكن ليكتسب صبغة عملية لو أن انجلترا لم تنتدب

على فلسطين ، ومن أجل ذلك فقد كان من الضرورى لتحقيق الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، أن تتبنى انجلترا فكرة المؤازرة للصهيونية لتحقيق هذا التصريح ومهما يكن من أمر فقد كانت المهمة شاقة، على الرغم من السطوة السياسية والمادية التى يملكها المتآمرون .

وبدأت بريطانيا بتعيين الزعيم الصهيونى البريطانى هربرت صمويل مندوباً سامياً لها فى فلسطين، وكانت مهمته الرسمية والشخصية تتلخص فى محاولة تهويد فلسطين عن طريق فتح أبوابها للهجرة اليهودية والتمكين للعصابات الصهيونية واضطهاد العناصر الوطنية ونقل ملكية الأراضى إلى اليهود، ولو استطاع البريطانيون واليهود أن يجدوا الوسيلة لأن تبتلع الأرض المقدسة العرب التى يعيشون عليها لفعلوا

ووقف عرب فلسطين وحدهم يغالبون الغدر البريطانى والدهاء الصهيونى ويقابلون القوة بمثلها ، واستشهد منهم الكثيرون فى سبيل الذود عن وطنهم وحريتهم ، وأسسوا « المجلس الاسلامى الأعلى » لتنسيق سياستهم الدفاعية ومواجهة خطة العدو الإجرامية، واستطاع هذا المجلس أن ينقذ قسما كبيراً من الأراضى العربية من يد اليهود،

ومنح القروض المالية للمحتاجين من أصحاب الأراضى حتى يحول بينهم وبين الاغراء اليهودى وأصدر من القوانين مايحول دون بيع أو قسمة أى أرض يكون للقاصرين نصيب فيها ، واشترى بعض القرى برمتها

غير أن السلطة البريطانية لم تعدم الوسائل الكافية لتحقق أطماع اليهود فى انتزاع الأراضى الفلسطينيه عن طريق المنح والقسر والمصادرة وانتزاع الملكية ، وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد كان مجموع ماستولى علية اليهود من أرض فلسطين حتى يوم انتهاء الانتداب البريطانى فى ١٥ مايوسنة ١٩٤٨ لايزيدعلى مليونى دونم (الدونم الف متر مربع) أى نحو ٧٪ من مجموع أراضى فلسطين التى تبلغ حوالى ٢٧ مليون دونم

ولقد تحدث الفرد للنتال Alfred Lilenthail أحد كبار الصهيونيين فى كتابه What Price Israel عن الدور الكبير الذى قامت به بريطانيا فى مساندة الحركة الصهيونية فى هذه المرحلة قائلا « لو حاول اليهود أن يستعرضوا المساعدات التى قدمتها بريطانيا للصهيونية لوجدوا أنها عديدة وواضحة إلى حد بعيد ، ففى أثناء الأنتداب البريطانى على فلسطين سمحت سلطات هذا الأنتداب

للمؤسسات والمنظمات اليهودية بممارسة نشاطها وجهودها فى حرية تامة ، ولم تكتف هذه السلطات بتدعيم الوكالة لليهودية والاعتراف بها وانما سمحت لها بممارسة نشاطها كمؤسسة رسمية تنطق باسم اليهود فى فلسطين، وكذلك استخدمت السلطات البريطانية الوسائل المختلفة لتشجيع واستقبال الهجرات اليهودية إلى فلسطين ، لدرجة أن الذين هاجروا إلى فلسطين منذ بداية الانتداب حتى قيام الحرب العالمية الثانية زادوا نصف مليون من المهاجرين الصهيونيين، وذلك على الرغم من مظاهر الاستنكار والاحتجاج التى قدمها العالم العربى ضد هذه الساسية التى كانت تهدف إلى تهويد فلسطين ، وبذلك ازدادت نسبة اليهود فى فلسطين إلى مجموع السكان العرب من ١١٪ فى سنة ١٩٢٢ إلى ٣٢٪ فى سنة ١٩٤٥

وزيادة على ذلك فقد زودت السلطات البريطانية فى فلسطين اليهود بالأسلحة الحربية والدبابات والمصفحات والسيارت المدرعة للدفاع عن أنفسهم عند الحاجة ،

يضاف إلى كل هذا، أن جميع العروض والحلول والمشروعات التى كانت تعرضها السلطات البريطانية فى فلسطين على العرب منذ قيام الانتداب حتى نشوب الحرب العالمية الثانية كانت تعرض

أولا على المنظمات الصهيونية أو بسبق موافقتها ، وكانت كلها تهدف إلى تحقيق وعد بلفور وتوكيد سلطة الانتداب ، وأهم هذه العروض والمشروعات مايلى

« أولا » الكتاب الأبيض (٢٢ يونية سنة ١٩٢٢)

The British White Paper

تقدمت الحكومة البريطانية بذلك الكتاب على أنه دستور الحكم فى فلسطين ، على أساس من الانتداب وتصريح بلفور ، وهو ينص على تشكيل مجلس تشريعى لفلسطين من ٢٢ عضواً ، موزعة كالآتى (عشرة أعضاء من الموظفين الانجليز يعينهم المندوب السامى وعشرة أعضاء من العرب ، ثمانية من المسلمين واثنين من المسيحيين ثم عضوين من اليهود) وتركت رئاسة هذا المجلس للمندوب السامى الذى أعطى حق الاعتراض على القرارات التى لايوافق عليها ، كما حرم على المجلس مناقشة موضوعى الانتداب والوطن القومى لليهود

ولما أرسل هذا المشروع إلى العرب اجتمع المؤتمر الفلسطينى فى أغسطس سنة ٩٢٢ بمدينه نابلس وقرر بالإجماع رفض هذا المشروع لأنه بنى أصلا على دعامتين لايعترف العرب بهما وهما

التصريح والانتداب ، كما أنه لايتمشى مع حق عرب فلسطين المقرر فى الحصول على استقلالهم ، وأهم اعتراض وجهة عرب فلسطين لهذا المشروع أن المجلس التشريعى المقترح لايمثل البلاد تمثيلا صحيحاً ، فقد أعطى العرب الذين يؤلفون ٩١ / من مجموع السكان أقل من نصف عـــدد أعضاء المجلس وبذلك تصبح الغالبية دائماً فى جانب الانجليز واليهود ، هذا بالإضافة إلى أن المشروع يعطى للمندوب السامى حق الاعتراض على قرارات المجلس ، مما يجعله مجرد مظهر صورى ، لاطائل من ورائه

« ثانياً » مشروع المجلس الاستشارى (مارس سنة ١٩٢٣)

تقدمت الحكومة البريطانية بهذا المشروع بعد فشل العرض السابق، على الرغم من أن سلطات الانتداب حاولت فرضه بالقوة ودعت الى إجراء انتخابات للمجلس ولكن الشعب العربى فى فلسطين قاطع هذه الانتخابات مقاطعة تامه .

ولم يكن المشروع الجديد ليختلف كثيراً عن سابقة من حيث العدد الكلى والنسب المقترحة فرفضه العرب ، وعبثاً حاولت بريطانيا تفرقة . الصفوف العربية فى فلسطين ، حين أمرت بتعيين بعض الزعماء العرب فى هذا المجلس ولكن هؤلاء الزعماء من

العرب المسلمين والمسيحيين رفضوا التعاون مع سلطات الانتداب فى ظل هذا المشروع .

« ثالثاً » مشروع الوكالة العربية (أكتوبر سنة ١٩٢٣) .

عرض المندوب السامى البريطانى السير هربرت صموئيل مشروع إنشاء وكالة عربية فى ظل نظام الانتداب والاعتراف بحق اليهود فى إنشاء الوطن القومى لهم كما جاء فى تصريح بلفور وجاء رفض العرب للمشروع الجديد متمما لرفضهم السابق التعاون مع سلطات الانتداب فى ظل الأوضاع التى لا يمكن لعربى أن يقرها أو يوافق عليها .

ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور حايم وايزمان الزعيم الصهيونى كتب فى مذكراته تعليقاً على المشروعات الثلاث السابقة التى عرضتها سلطات الاحتلال البريطانى على العرب أنها جميعاً عرضت على اللجنة الصهيونية قبل إصدارها للاطلاع عليها وابداء الرأى فى وجهات النظر التى يراها اليهود وقد وافقت اللجنة الصهيونية عليها هذا وقد جاء فى هذه المذكرات أن السير هربرت صموئيل والمستر وتستون وتشرشل قاما بدور كبير فى صياغة هذه العروض .

على أثر الأحداث الدامية التي قامت في فلسطين، نتيجة لحوادث البراق أو المبكى في سنة ١٩٢٩ ، تلك الحوادث التي تضافرت فيها المنظمات الصهيونية مع السلطات البريطانية على الاعتداء على العرب ، وضج العـــالم العربي بالاحتجاج مما اضطر وزارة المستر ماكدونالد العماليه إلى إرسال لجنة بريطانية برئاسة السير جون سمبسون لدراسة الأزمة الفلسطينية ، وقد انتهت اللجنة إلى إصدار هذا الكتاب باسم «باسفيلد» وزير المستعمرات البريطانية وكان من أهم قراراته وقف الهجرة اليهودية الى المناطق العربية والسماح بهجرة محدودة إلى الأرض اليهودية التي لم تعمر بعد ووقف انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود إلا بتصريح من الإدارة البريطانية .

وقد ثار اليهود على كتاب « باسفيلد » واستنكروه ورفضت الحكومة البريطانية وانتهى الأمر بسحب الكتاب واستقالة باسفيلد الذي تبنى ذلك المشروع ، وفضلت الحكومة البريطانية أن تتراجع عن قرارها وتضحي باستقالة أحد وزرائها على غضب اليهود .

« خامساً » المجلس التشريعى لعام ١٩٣٥ .

عرض السير آرثر واكهوب المندوب السامى البريطانى فى فلسطين مشروعاً لمجلس تشريعى يتألف من ثمانية وعشرين عضوا ، نصفهم من العرب والنصف الآخر من الانجليز واليهود ولكن اليهود أعلنوا أنهم سوف يرفضون مشروع أى مجلس تشريعى لا يكون لهم فيه نصف الأعضاء على الأقل رغم أن تعدادهم فى ذلك الوقت لم يكن يزيد على ٨٪ من مجموع السكان واستجاب مجلساً العموم واللوردات البريطانيين للرغبة الصهيونية وانتهى الأمر بطى المشروع .

« سادساً » مشروع بيل سنة ١٩٣٦ .

نتيجة للاضراب العربى الشامل الذى عم كل أرجاء فلسطين واستمر ستة شهور كاملة أوفدت الحكومة البريطانية لجنة برياسة اللورد بيل الذى قدم أسوأ مشروع لحل المشكلة حيث قسم فلسطين إلى ثلاث مناطق ، منطقة يهودية فى أخصب البقاع الساحليه ، ومنطقة عربية تضم إلى شرق الأردن ومنطقة انتداب بريطانى دائم تشمل الأماكن المقدسة ومنطقة القدس ، ويعتبر هذا المشروع أول محاولة لتطوير الاطماع الصهيونية من مجرد المطالبة بالوطن

القومى إلى تحقيق دولة صهيونية ، ولذلك فقد رحب اليهود والبريطانيون بالمشروع وقدمته بريطانيا إلى عصبة الأمم فوافقت عليه رغم معارضة مصر والعراق ، وعقد العرب مؤتمراً فى بلودان «أحد مصايف الشام» وقرروا رفض مشروع بيل واعتبار فلسطين جزءاً لا يتجزأ من العالم العربى وإلغاء الانتداب ووعد بلفور ووقف الهجرة اليهودية وسن التشريعات التى تمنع إنتقال الأراضى من العرب إلى اليهود .

وقد أعقب هذا المؤتمر إضراب عام وثورة عارمة شملت كل أرجاء فلسطين واستعملت انجلترا كل وسائل القمع والشدة ، بمساعدة اليهود ، ونفت زعماء اللجنه العربية العليا إلى سيشل .

« سابعاً » مؤتمر المائدة المستديرة سنة ١٩٣٨ .

تلبد الجو الدولى بغيوم الحرب الثانية ، وبدأ هتلر يضرب حواجز السلام بمعاول السياسة الألمانية ، وتبادل مع موسولينى الزيارات ، والتأم شمل المحور الثلاثى بانضمام اليابان إليه واجتاحت الجحافل الألمانية النمسا ، وأدركت انجلترا أهمية العوده لاسترضاء العرب وتظاهرت باشراك الدول العربية فى حل المشكلة ، فدعت مصر والسعودية واليمن والعراق وشرق الأردن واللجنة العربية

العليا إلى مؤتمر مائدة مستديرة فى لندن ، وكان طبيعياً أن يفشل هذا المؤتمر ، حين أصرت اللصوصية الصهيونية على اقتراف الجريمة فى حماية القضاء الاستعمارى ، وإضطرت انجلترا إلى إصدار تصريح أعلنت فيه تخليها عن مبدأ التقسيم ، كى تضمن ولاء العرب لها فى حربها المقبلة .

« ثامناً » الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ .

يعتبر هذا الكتاب مرآة توضح السياسة البريطانية فى فترات الحرج ، فقد أراد البريطانيون النصفة فى معاملة الصهيونية والعرب على السواء ، وعرضوا على الطرفين إنشاء دولة لا هى عربية ولا هى يهودية ، ترتبط مع بريطانيا برباط التحالف ، وتحكمها حكومة من ثمانية ستة من العرب ويهوديان ، على أن يرأس هذه الحكومة بريطانى وأن يكون لكل وزير مستشار انجليزى ، ونص على أن يكون ذلك لفترة إنتقال مدتها عشر سنوات ، ينتخب الأهالى بعد مضى ثلاث سنوات منها مجلساً تشريعياً بنسبتهم العددية وإن يسمح للصهيونية بتهجير خمسة وسبعين ألف يهودى إلى فلسطين فى خمس سنوات إلى أن يصبح اليهود ثلث السكان العرب .

قد قابلت الدول العربية المشروع بتحفظ كبير ، إلا أنها لم

ثلبث أن قبلته نكطوه فى سبيل استرداد الحقوق ، ووافقت عليه الجامعة العربية فى اجتماعها بعد ذلك عام ١٩٤٥ ، ولكن اليهود رفضوا هذا المشروع ، واستجابت بريطانيا لنداء اليهود بعد أن أنتهت الظروف التى أرغمتها على استرضاء العرب .

المرحلة الرابعة للحركة الصهيونية

أدركت الصهيونية أن ميزان القوى قدبدأ ينتقل إلى الولايات المتحدة ، وأن انجلترا قد لعبت الدور الذى كان مقدراً أن تقوم به بتحقيق الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، وازداد تدفق اليهود على الولايات المتحدة حتى زاد عددهم بها على خمسة مليون يهودى وانتقل مركز النشاط الصهيونى من انجلترا إلى أمريكا،واستطاعت الصهيونية الأمريكية أن تسيطر على بعض الأجهزة السياسية والاقتصادية الحساسة .

ولقد ظهر أثر هذا النفوذ جليا واضحا فى انتخابات الرياسة الأمريكية سنة ١٩٤٤ وتسابق الحزبان الجمهورى والديمقراطى إلى كسب تأييد اليهود ، وما كاد المستر ترومان يفوز بمقعد الرياسة حتى أعلن فتح أبواب فلسطين لقبول مائة ألف يهودى كل لليهود

لليهود المشردين في أوربا، وطالب باستمرار الهجرة حتى يصبح اليهود أغلبية في فلسطين ويحققوا قيام الدولة اليهودية ، وذلك ما كانت تهدف اليه الفلسفة الصهيونية في تطورها الجديد ، فقد قنعت من انجلترا بالوطن القومي ، وتسعى وراء الولايات المتحدة لتحقيق الدولة الصهيونية في فلسطين ، ولم تخيب الولايات المتحدة أمل الصهيونية فيها ، وتبنت عرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة ، واستطاعت بمالها من نفوذ أن توجه هيئة الأمم إلى قبول مبدأ تقسيم فلسطين ، وتمهد السبيل لاحياء الدولة الصهيونية في قلب الوطن العربي ، وتنحت بريطانيا عن الطريق لامريكا ، في تفاهم تام على اقتراف الجريمة ، وما كادت انجلترا تعلن انهاء انتدابها في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حتى أعلن اليهود من تل أبيب قيام دولة اسرائيل ، وأسرعت الولايات المتحدة بعد بضع دقائق من الاعلان إلى الاعتراف بها، ثم الوقوف بجانبها حين اجتاحتها القوات العربية ومساندتها في تحدتها لقرارات الأمم المتحدة، ساندتها حين خرقت الهدنة لأول مرة وتحدت قرار مجلس الأمن بوقف القتال في مايو سنة ١٩٤٨ ، وساندتها حين رفضت قرار الامم المتحدة في ديسمبر سنة ٩٤٨ ذلك القرار الذي يقضي بدعوة إسرائيل للسماح بعودة اللاجئين العرب إلى بلادهم إن شاءوا أو تعويضهم عن أملاكهم

وساندتها حين رفضت قرار الأمم المتحدة بتدويل القدس فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، وساندتها حين أعلنت مع حليفتها بريطانيا وفرنسا فى مايو سنة ١٩٥٠ عزمها على المحافظة على السلام والوقوف ضد استخدام القوة فى هذه المنطقة حماية لها من الهجوم العربى .

المرحلة الخامسة للحركة الصهيونية

إن من يقرأ كتابات وتصريحات زعماء الصهيونية منذ نشأتها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، يرى فى وضوح ويسر أن هذه المراحل الأربع لم تكن إلا مقدمة للحقيقة الهائلة البشعة التى تسعى وراءها الصهيونية ، وهى التهام البلاد العربية ، وتحويل العرب إلى لاجئين ، والسيطرة على بلادهم ومصادرة رزقهم ، واسترقاق شعوبهم ، ولا تزال خريطة « مملكة إسرائيل » التى وضعها زعماء الصهيونية محفوظة فى خزانة الزعيم الصهيونى روتشيلد فى مدينة « فرنكفورت » ، وهى تضم فلسطين والأردن وسورية ولبنان والعراق وسينا والدلتا والمدينة المنورة وما حولها من مناطق بنى قريظة وبنى النضير وشمالى الحجاز .

تلك هى الحقيقة الهائلة التى تمتلىء بها مؤلفات زعماء الصهيونية ودوائر المعارف البريطانية والفرنسية والامريكية وكتابات

وتصريحات زعماء اليهود من هرتزل إلى بن جوريون ، تهديد بهدم المسجد الأقصى المبارك ، وإعادة بناء هيكل سليمان مكانه وممارسة العبادة الدينية فيه ، تهديد بأن عاصمة الدولة اليهودية لن تكون تل أبيب وإنما ستكون القدس وأن شباب اليهود سوف يضحون بحياتهم لاسترداد المسجد الأقصى وهدمه ، تهديد بأن دولة إسرائيل سوف تمتد من الفرات إلى النيل ، وهذا واحد من زعمائهم «الصهيونى برينفيلد Brunfield» يعلن فى كتابه «الصهيونية Zionism» الذى نشره فى سنة ١٩٢٠ :

«It is the movement which aims at separtriating to Palestine all the Jews who either desire to immigrate there or are unable to reside in the countries they inhabit; whose number amounts to ten millions, to establish a Jewish state in Palestine and to expand that state from the Nile to the Euphrates.»

« الصهيونية حركة تهدف إلى إعادة توطين جميع اليهود بفلسطين ، سواء منهم أولئك الذين يرغبون فى الهجرة إليها ، أو أولئك الذين لاينتوون البقاء فى البلاد التى يعيشون فيها ، وهم يقدرون بعشرة ملايين لينشئوا دولة يهودية فى فلسطين ، ثم ليبسطوها من النيل إلى الفرات . »

القومية العربية قضاء الحركة الصهيونية

لقد كان من الممكن أن تستمر انتصارات الصهيونية ، وأن يزداد اللاجئون العرب يوماً بعد يوم ، وأن تتسع الرقعة اليهودية عاماً بعد عام ، وأن تلمع النجوم الإسرائيلية على الأساحة الاستعمارية فى كل بقعة من بقاع العالم العربى ، لولا قيام الثورة المصرية العربية فى الثالث والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ ، وانتفاضة العملاق العربى على دقات طبول هذه الثوره ، وارتفاع علم القومية العربية على سارية مستقبلها المشرق مؤكداً فى وضوح أن « القرآن معجزة الزمان » وأن اليهود سوف يظلون مشتتين فى الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تشق طريقها بمؤازرة الاستعمار فى غيبة القومية العربية ، واستمرأ اليهود الوضع ، وظنوا أن الوطن الذى أصبح دولة قد يصبح امبراطورية ، والحلم الذى كان إلى الأمس خيالا قد يغدو حقيقة ، وأن صياح الأطفال لن يوقظ أسود العرين ، فاستبدوا ، واعتدوا ، وأرخوا رءوسهم على صدور سادتهم يحتمون بها ، وغطوا وجوههم بأكوام الدولار ، إلى أن جاء القدر ، عملاقاً ، شامخاً ، جباراً ، فى ثياب القومية العربيـــة ، فتبدل الوضع ، وتغير الموقف ، وانعكس

الاتجاه ، وبدأ الصراع بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين العدل والظلم ، بين القومية العربية والحركة الصهيونية .

انتصارات القومية العربية فى الميدان الاقتصادى

أدركت القومية العربية أن اسرائيل إذا كانت ضرورة سياسية فى مفهوم الصهيونية فهى ضرورة اقتصادية فى مفهوم الامبريالية الغربية والامريكية . ومن أجل ذلك كان لابد من الحيلولة دون تحقيق نموها الاقتصادى . ولقد نجحت القومية العربية فى ذلك إلى حد كبير ، لدرجة أنه لولا المنح التى تأتيها من الخارج والتى تربو عشرات المرات على ميزانيتها اقبرت الصهيونية منذ أمد طويل ويكفى أن يعرف المرء أنه فى السنوات العشر التى أعقبت قيام إسرائيل تلقت من مختلف المصادر الاجنبيه أكثر من ثلاثة آلاف مليون دولار منها ١١١٨٫٧٣٨٫٠٠٠ دولار من الولايات المتحده موزعة كالآتى ... ٤١٩٫٧٢٨٫٠٠٠ دولار كمنح رسمية من الحكومة الامريكية و ٣٦٩٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار قروض رسمية أمريكية من البنوك و ٢٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار مساعدات فنية وفائض أطعمه و ٩٦٫٠٠٠٫٠٠٠ استثمارات أمريكية ، كل ذلك فى الوقت الذى تتشدق فيه أمريكا بالرغبة فى الصداقة العربية ، ومن الغريب أنه أنه فى نفس السنة التى رفضت فيها أمريكا تمويل مشروع السد العالى

(مما دفع جمال عبد الناصر إلى إعلان تأميم شركة القناة) تقدمت الولايات المتحدة بقرض رسمي لاسرائيل قدره ٤٨٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار

وفي سبيل وأد القومية العربية للحركة الصهيونية من الناحية الاقتصادية ، اتجهت إلى انتهاج هذه السياسة .

« أولا » إتخاذ جميع السبل لعرقلة اسرائيل عن تصنيع بلادها

« ثانياً » حرمانها من أية أسواق خارجية لتصريف منتجاتها

« ثالثاً » المساهمة في رفع مستوى المعيشة ونفقات الانتاج في بلادها

« رابعاً » حرمانها من استخدام قناة السويس بالطرق المباشرة وغير المباشرة «خامساً» مقاومة التغلغل الاقتصادي الاسرائيلي في الميدانين الافريقي والآسيوي «سادساً» انتهاج سياسة التنمية الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة

ولكي تحقق القومية العربية الوسيلة الأولى لسياستها الاقتصادية إزاء إسرائيل اتفقت البلاد العربية على ضرورة وضع رقابة شديدة على المناطق العربية المتاخمة للحدود الاسرائيلية لمنع تسرب المواد الأولية الموجودة بالبلاد العربية إلى إسرائيل كما أخضعت صادرات البلاد العربية إلى قيود شديدة كاجازات التصدير في الحالات التي يخشى فيها تسرب تلك الصادرات إلى إسرائيل ، كذلك تسعى البلاد العربية إلى عرقلة حصول إسرائيل على المواد الأولية اللازمة

للصناعة عن طريق التضحية بشراء ما هو موجود منها فى البلاد القريبة التى تتعامل معها إسرائيل ولو لم تكن هناك حاجة ملحة إلى ذلك لارغام إسرائيل على الشراء من دول بعيده مما يزيد فى اعباء التكاليف عليها .

وتحاول القومية العربية أن توجة الدول العربية إلى الامتناع عن التعامل مع الشركات الأجنبية التى تتعامل مع اسرائيل أو تنشىء لها مكاتب وفروع فيها حتى تدفعها إلى المفاضلة بين تعاملها مع الدول العربية مجتمعه (مع ما فى ذلك من فائدة محققة لها) أو تعاملها مع اسرائيل .

وليس من شك فى أنه لو استطاعت الدول العربية أن تحقق تنسيق النظم الإقتصادية العربية المشتركة لها فأن ذلك سوف يدفع رءوس الأموال الأجنبية إلى تفضيل استثمارها فى ذلك الكيان العربى الضخم عن التعامل مع اسرائيل .

كذلك تسعى القومية العربية لتحقيق الوسيلة الثانية إلى منافسة اسرائيل فى أسواق صادراتها بادئة بالأسواق العربية نفسها ثم باسواق الدول الواقعة فى حوض البحر الابيض المتوسط ، ثم فى الأسواق الافريقية الآسيوية ، وليس من شك فى أن ذلك لن يتأتى إلا إذا اتجهت البلاد العربية اتجاها تصنيعيا يمكنها من

منافسة الصادرات الاسرائيلية خاصة وان معظم ماتنتجه اسرائيل تنتجه البلاد العربية بأسعار أقل تكلفه ، وسوف تضطر هذه السياسة اسرائيل للبحث عن أسواق بعيدة لتصريف منتجاتها مما يكبدها مصاريف باهظة ويحول بينها وبين الحلم الذى كان يراود السياسةالصهيونية والسياسة الاستعمارية لغزو الأسواق العربية وفرض السيادة الاقتصادية الاسرائيلية على العربية .

أما جهود القومية العربية فى رفع مستوى المعيشة فى إسرائيل لاضعاف كيانها الاقتصادى ، فيأتى نتيجة لتضافر البلاد العربية لحرمانها من الحصول على أية مواد غذائية من الأسواق العربية مما يجعلها تضطر لاستيرادها من الدول الصديقة للصهيونية وهى إما دول بعيدة تستنزف اسرائيل قسما كبيراً من ميزانيتها لاستيراد المواد الغذائية منها وإما دول تترددفى التعامل معها خشية فقدان التعامل مع الأسواق العربية .

هذا إلى جانب سياسة القومية العربية إزاء السفن والبواخر ذات الخطوط الثابتـــة التى تمر بموانى اسرائيل ، فانها تحرم من الرسو فى الموانى العربية كلها خلال الرحلة الواحدة ذهابا وإيابا وتدرج البواخر التى تخالف ذلك فى القـائمة السوداء وتحرم من الشحن والتموين بالمياه والوقود والمواد الغذائية بالبلاد العربية ،

وليس من شك فى أن ذلك كله يقض مضاجع إسرائيل ويجعل الشركات التى تتعامل معها فى ظل هذه القيود العربية تفرض عليها أجوراً ضخمة إزاء هذا التعامل مما يزيد فى تكاليف الحياة عليها ويرفع مستوى المعيشة بين أفرادها .

والواقع أنه لولا الإعانات والقروض التى تمنحها الولايات المتحدة وبعض الدول الصديقة لاسرائيل لما تمكنت من البقاء إلى الآن ، ولكن إلى متى ستظل هذه الإعانات المالية والمادية إلى إسرائيل ؟ ؟

الأمر الذى لاشك فيه أن ذلك لايمكن أن يدوم إلى الأبد ، ولقد كان الأمل يراود الصهيونية والدوائر الاستعمارية أن الزمن القريب كفيل بحل هـذه المشاكل التى تعترض الطرفين ، وأن استمرار بقاء إسرائيل فى ظل الحماية الاستعمارية قد يدفع الدول العربية إلى ضرورة التسليم بالأمر الواقع وخاصة بعد أن يحل الزمن مشكلة تصفية اللاجئين ، وكان كل رئيس أمريكى يعد بتحقيق الصلح بين العرب وإسرائيل لا لصالح الصهيونية وحدها وإنما لصالح الدوائر الاستعمارية التى استنزفتها الحاجة الصهيونية ، سواء كان ذلك برضا الاستعمارية أو رغماً عنها . .

إلى أن قامت الثورة المصرية ، وظهر فى سماء العالم العربى زعيم عملاق من عصارة خلاصة التجارب العربية المريرة ، ونبت من

أحشاء الأمة العربية جمال عبد الناصر فكان قدر القومية العربية ، وكانت القومية العربية قضاء الحركة الصهيونية ، وكان لابد من الصراع ! ! فانطلقت القومية العربية من عقالها ، وقبعت الحركة الصهيونية فى جحرها ، وبدأت مراحل القوميـــة العربية تنطلق إلى أمام ، وراحت الحركة الصهيونية تطوى مراحلها إلى خلف ..

موقف القومية العربية

من الصهيونية فى قنـــاة السويس

وصل الحصـار الاقتصادى العربى لاسرائيل إلى الذروة ، نتيجة للموقف الحازم الذى تقفه الجمهورية العربية المتحدة فى وجه السفن الاسرائيلية التى تحاول عبور قنـــاة السويس ، واستغلت الصهيونية فرصة عدم تنفيذ القومية العربية لقرار مجلس الأمن الصادر فى هذا الشأن لصالح اسرائيل لإظهار العرب بمظهر الخارجين على قرارات المنظمات الدولية ، المتحدين لتوجيهاتها وتوصياتها ، ولكن القومية العربية قد اضطرت إلى هذا الموقف لعاملين : أولا : استنادها فى ذلك على أسس ومبادئ القانون الدولى العام . ثانيا : رفض إسرائيل تنفيذ قرارى إعادة اللاجئين (العائدين) وتدويل القدس .

وليس من شك فى أن إسرائيل تعلم تماماً مساندة مواد القانون الدولى لموقف الجمهورية العربية المتحدة من مسألة حرمان السفن الاسرائيلية من المرور فى قناة السويس ولعل ذلك هو الذى دفع اسرائيل إلى رفع شكواها إلى المنظمات السياسية الدولية دون الالتجاء الى محكمة العدل الدولية وهى الهيئة المختصة بنظر مثل هذه الإشكالات القانونية ، والتى لها وحدها حق التكييف القانونى لها ، ذلك لأن اسرائيل تستطيع فى ظل الدوائر الاستعمارية أن تستدرعطف الدول الدائرة فى فلكها فى المنظمات السياسية ، وتنقل الموضوع من الدائرة القانونية إلى حلبة الصراع السياسى ، بينما تعرف مقدماً نتيجة عرض مثل هذا الموضوع على محكمة العدل الدولية التى لا تعرف سوى القانون الدولى فيصلا لإصدار أحكامها .

والواقع أن القانون الدولى يبيح فى حالة الحرب للدول المحاربه - فى سبيل المحافظه على أمنها وسلامتها داخل حدودها الاقليمية ، أن تتخذ من الاجراءات الضرورية ما يحقق ذلك ، كما وأن حالة الحرب - من وجهة نظر القانون الدولى - لاتنتهى إلا بتوقيع الصلح بين الأطراف المتحاربة ، ولاتقوم اتفاقيات الهدنة مقام معاهدات الصلح التى تنهى وحدها قانوناً حالة الحرب.

ولما كانت حالة الحرب لاتزال موجودة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين إسرائيل فإن من حق الجمهورية العربية

المتحدة على نفسها أن تتخذ من التدابير ما يكفل لها الأمن والسلامة داخل أراضيها . وممارسة الجمهورية العربية المتحدة لحقها فى منع السفن الاسرائيلية من المرور فى قناة السويس إحدى هذه الوسائل الضرورية والقانونية.

من أجل ذلك تسعى الصهيونية جاهدة لانهاء حالة الحرب بين الدول العربية وبين إسرائيل وتؤيدها فى ذلك الدوائر الاستعمارية ، لأن فى الاعتراف العربى بالوضع السياسى لإسرائيل حل للعديد من المشاكل السياسية والاقتصادية التى تعترضها وتمكين لها من استئناف سياستها العدوانية وتحقيق المرحلة الخامسة من مراحل الصهيونية . وعلى الرغم من أن الدوائر الاستعمارية الأمريكية والتى تدور فى فلكها التأييد الصهيونية تعلم تمام العلم أن قبول العرب للصلح لإسرائيل ، هو انتحار سياسى واقتصادى وكيانى للقومية العربية فى حاضرها ومستقبلها ، فإنها مازالت تعلل النفس بهذه الأمانى التى دونها خرط القتاد .

وفى نفس الوقت الذى تهتم فيه الدوائر الصهيونية والاستعمارية القومية العربية باهمال قرار مجلس الأمن الصادر بشأن السماح للسفن الإسرائيلية بالمرور من قناة السويس لاترفع صوتاً واحداً تطالب فيه إسرائيل بتنفيذ القرارات والتوصيات الصادرة بشأن عودة اللاجئين إلى ديارهم .

موقف القومية العربية

من التغلغل الاقتصادى لإسرائيل فى أفريقية وآسيا

أدركت القومية العربية حقيقة الاتفاق الاقتصادى المتبادل بين الصهيونية والامبريالية فالدوائر الاستعمارية تحاول جاهدة تحطيم الحضار الاقتصادى العربى على إسرائيل وفتح الأسواق العربية أمام منتجاتها ، فى الوقت الذى تسعى فيه إسرائيل لعرقلة حركات التحرر السياسية والاقتصادية فى الميادين الافريقية الآسيوية وافساح المجالات أمام الغزو الاقتصادى الاستعمارى لتثبت أركانه فيها أو استعادة غزوها والطريقة فى ذلك أن تحاول الدوائر الإستعمارية التى يسمح لها بالتعامل مع الدول العربية تصدير الانتاج الصهيونى إلى الأسواق العربية عن طريقها ، على أن تقوم إسرائيل بعملية عكسية لغزو الأسواق الافريقية الآسيوية بالإنتاج الاستعمارى عن طريق إسرائيل ، اعتقاداً منها بأن حركة التحرر والانطلاق الأفريقى الآسيوى لاتخش الحشرة الصهيونية بقدر ماتخش الاغتيال الاقتصادى للدول الاستعمارية .

ولكن القومية العربية تقف بالمرصاد للمحاولة الأولى عن طريق مكاتب المقاطعة العربية التى تتخذ من التدابير مايحول

دون خرق الحصار الاقتصادى العربى لاسرائيل وما المؤتمرات التى تعقدها الجامعة العربية فى عواصم العالم العربى الا تثبيتا وتمكيناً لسياسة هذا الحصار الذى اثبتت الظروف والأحوال فى إسرائيل فاعليته وجدواه مما يدفعها دائماً إلى استجداء المساعدات الخارجية وإلا لحاح فى فرض الصلح على البلاد العربية .

أما المحاولة الثانية التى تبذلها الصهيونية لمعاونة الامبريالية فقد استطاعت القومية العربية أن تدق ناقوس الخطر أمام الدول الأفريقية الآسيوية لمقاومة هذا التسلل الصهيونى وقد ساعدها على ذلك أمران . «أولا» الانطلاقة التحررية التى بدأت تغشى البلاد الأفريقية الآسيوية

«ثانياً» السياسة الاسرائيلية فى المنظمات الدولية التى تقوم على الوقوف إلى جانب القوى المعادية للعالمين الأفريقى والآسيوى ضد حركاتها التحررية .

وما المؤتمرات التى تؤيدها القومية العربية الرسمية منها والشعبية - إلا محاولات فى ذلك السبيل - مثل اكرا وتونس والقاهرة وكوناكرى والدار البيضاء وبغداد وكلها معاول لهدم التسلل الصهيونى إلى العالم الحر .

هذا وليس من شك فى أن مشروعات التنمية الاقتصادية التى تقوم بها الجمهورية العربية المتحدة فى اقليميها سوف تكون عاملا حاسماً فى تقوية جبهة القومية العربية لتختتم كفاحها النبيل فى سبيل محق الصهيونية من الوجود .

انتصارات القومية العربيه فى الميدان السياسى

ترجع انتصارات القومية العربية على الحركة الصهيونية فى الميدان السياسى إلى ثلاثة عوامل .

« أولا » تحقيق التفوق العسكرى .

« ثانياً » تحقيق التفوق الاقتصادى .

« ثالثاً » الانتصار فى المجال الدبلوماسى .

ولقد استطاعت الجمهورية العربية أن تحقق لها وللعرب أعظم قوة ضاربة فى منطقة الشرق الأوسط، وعلى الرغم من المساعدات العسكرية التى تتلقاها اسرائيل من الدول الاستعمارية فإنها لايمكن أن تهيء من العوامل مايحقق لها الفوز فى هذا الميدان لاعتبارات أصيلة فى طبيعة تكوينها .

كما استطاعت دبلوماسية القومية العربية أن تؤكد حقيقتين :

« أولا » عدم مشروعية الكيان السياسى لاسرائيل .

« ثانياً » شرعية وقيام الكيان السياسى لفلسطين العربية .

وفيما يتعلق بعدم مشروعية الكيان السياسى لاسرائيل تستند القوميه العربية على الحقائق التالية :

أولا : ان استناد إسرائيل على الكيان التاريخى القديم للعبرانيين فى فلسطين لانتزاعها من يد العرب تضحضه الحقائق الانتروبولوجية التى ترجع كل هذه السلالات للعنصر السامى الذى هو أصل السلالات العربية وعلى هذا لايكون وجود العرب فى فلسطين افتئاتا على الحقيقة التاريخية .

ثانيا : ان خروج اليهود من فلسطين فى القرن الأول الميلاد وانقطاعهم عنها حتى القرن العشرين يفقدهم كل حق فى العودة السياسية والدولية اليها وإلا كان التسليم بأمر هذا المبدأ إيذانا بتغيير الخريطة السياسية الحالية لكثير من دول العالم .

ثالثا : ان الكيان الدائم للعرب فى فلسطين قديما ووسيطا وحديثاً والارتباط التاريخى والسياسى والاقتصادى والثقافى والسلالى بهذه البلاد يجعل للعرب حقاً مكيناً لانزعزعه أية قوة على ظهر الأرض .

رابعا : إن المراسلات التى تمت بين مكماهون وحسين أثناء الحرب العالمية الأولى تؤكد بصورة قاطعة ـ رغم المغالطة الانجليزية ـ

ان فلسطين لم تكن من الأراضي التي أبدت انجلترا حولها أي تحفظ واعتبرتها قسما مكملا للدولة العربية .

خامسا : ان الوعد الذي قطعته انجلترا على نفسها لليهود بشأن تكوين الوطن القومي لليهود في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ لا يساوي من الناحية القانونية أكثر من المواد الذي كتب به لأنه صدر عن دولة لا تملك أي حق شرعي أو قانوني في اصداره .

سادساً : ان الغدر الانجليزي للاتفاق العربي الانجليزي أثناء الحرب العالمية الأولى يسقط أي حق لانجلترا في الافادة عن هذه الصداقة .

سابعاً . ان سياسة العصابات الاجرامية التي تتبعها العصابات الصهيونية في سبيل تحقيق أطماعها والاعتداء على أصحاب البلاد الشرعيين تفسد جميع الأسس التي قامت عليها اسرائيل .

« تاسعاً » أن عدم احترام إسرائيل للقرارات والتوصيات الدولية يجعل منها عصابة إجرامية خارجة عن القانون والأمن والسلام العام .

« عاشراً » أن مشكلة اللاجئين تعتبر قرينة واضحة على أن تمسك الصهيونية بموقفها في هذا السبيل بمؤازرة الدوائر الاستعمارية يصبغ مدنية القرن العشرين بتهمة التآمر على القيم الانسانية والخلقية والقانونية .

وفى الوقت الذى تؤكد فيه الحقائق السياسية التاريخية والقانونية هـــدم الكيان السياسى لاسرائيل ، نرى مشروعية الكيان السياسى الفلسطينى تؤيده الحقائق الدامغة التى ذكرناها لتقويض الوجود الشرعى لاسرائيل، يضاف إلى ذلك الحقيقة الواضحة التى أبرزها المؤتمر العالمى الذى أقامه الاتحاد العام لطلاب الجمهورية العربية المتحدة فى غزة فى نوفمبر ١٩٦٠ والتى أبرز فيها حقيقة الكيان العربى الفلسطينى ، فالشعب العربى الفلسطينى مازال موجوداً قوياً لم تزعزعه الأحداث الجسيمة التى مرت به طوال هذه السنين ولم تعبر الأهوال التى صادفها والنكبة التى حلت به من قوة إيمانه وعزمه واصراره على العوده . . العودة إلى وطنه الأصيل .

والأرض الفلسطينية مازالت موجودة تنادى أصحابها ، وتحت ترابها أنين الشهداء من الأبنـاء والرجال والنساء ، وفوق ترابها صرخات الأحياء الذين سيتولون إستقبال العائدين، فى يوم . هو. جد قريب .

والامكانيات المـادية والبشرية والثقافية لعرب فلسطين تؤكد حقيقة الكيان الموجود .

وأخيراً : القومية العربية . . قضاء الصهيونية .